آليات إنتاج اللّغة في ظلّ دراسات اللسانيات النفسيّة

Mechanisms for Language Production in the Light of Psycholinguistic Studies

د. دايلي خيرة

جامعة مصطفى اسطمبولي – معسكر (الجزائر)

kheira128@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/12/27 **تاريخ القبول: 2022/01/04**

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة الآليات التي يمر بها الإنسان أثناء إنتاجه اللّغوي بمنظور سيكو لساني كونه مجالاً خصبًا استحوذ على اهتمام علماء النفس واللّغويين على حد سواء، إذ خصّصوا له حيّزًا من الأبحاث لأنّه يحتاج إلى أكثر من نظرية تفسّر ظواهره المختلفة، كون العملية الكلامية موجّهة نحو غاية ما تختلف باختلاف الموقف التواصلي لذا كان لزامًا علينا التحري عن العوامل الدافعية والسوسيولوجيّة والمعرفية الحركية المتدخلّة في إنتاج اللّغة وفق رؤى لسانيّة نفسيّة وذلك من خلال عرض المراحل التسلسلية لهذه العملية وأهم نظرياتها ومستوياتها.

الكلمات المفتاحية: إنتاج لغة، لسانيات، علم النفس، أصوات، تخطيط الكلام.

Abstract:

This study aims to know the mechanisms that human passes through during his linguistic production from a linguistic perspective. A domain that has attracted the attention of both psychologists and linguistics,as they have allocated much research research because of the need of more than one theory to explain its various phenomena.the Verbal process is oriented towards different purposes varying according to communication situations, hence it is vital to investigate the motivational, the social factors and the cognitive motor factors involved in language production from a psycholinguistic perspective by introducing the serial stages of this process and its most important theories and levels.

***keywords**:* Production of language, linguistics, psychology, sounds, speech planning.

مقدمة:

لقد عنيت سيكولوجيّة اللّغة بالبحث عن الكيفيات التي من شأنها تحويل المتكلّم الاستجابة إلى رموز لغويّة بواسطة عمليات عقلية يتم من خلالها إصدار الجهاز الصوتي للّغة واتّسع مجالها وتحدّدت موضوعاتها بدراسة ظاهرة الكلام بكل حذافيره، وقد دعت الضرورة في البحث اللساني الحديث إلى تبني نظريات تساير التطور التكنولوجي الحالي بسبب التداخل المعرفي الحاصل بين مختلف حقول المعرفة الإنسانيّة، أبرزها جهود علماء اللّغة وعلماء النفس في إصدار مناهج بحثية متفاعلة مع الظاهرة اللّغوية وفق عدّة ميادين لأجل ذلك سنعرض في هذه الدراسة أهم إسهامات علم اللّغة النفسي في دراسة الإنتاج اللّغوي وتتبع مراحله والتحري عن أساليب معالجة اللّغة في الدماغ، كونه الآلة المتحكمة لجميع وظائف أعضاء الإنسان بما فيها اللّغة والمنظّم لاستقبالها بكافة أشكالها.

ومن هذا المنطلق حاولنا الإجابة عن الإشكالية الجوهرية التالية: كيف يتم إنتاج اللّغة وفق أبحاث علم اللّغة النفسي؟ ولمعالجة هذه الإشكالية استندنا على المنهج الوصفي التحليلي المناسب لطبيعة الموضوع المطروحة.

وفي زخم هذه المعطيات ينطلق تصور دراستنا في محاولة تقصي المنهج الذي اتّبعه السيكولغويون في دراسة فيسيولوجية اللّغة والبرمجة الصوتية التي تقوم عليها عملية الكلام.

1- إنتاج اللغّة (رؤية سيكولسانيّة):

تعد قضية إنتاج الكلام شائكة مقارنة بمجال فهم اللّغة وإدراكها وذلك راجع إلى قلّة التجارب داخل هذه المسألة، كونها عملية معقدة لا يمكن السيطرة عليها تجريبيًا تصدر بصورة طبيعيّة كما أنّها لا تتطلب التركيز على المتغيرات النفسيّة فحسب بل تقتضي الاهتمام بالمتغيرات السوسيولوجيّة ممّا ولّد ظاهرة معقدّة يعسر تحديد المتغيرات المسؤولة في حدوثها ، وقد اتّسع مفهوم إنتاج اللّغة ليشمل عدّم نواحي بما فيها اللّغويات ليعبّر عن كل: "عمليّة يتم من خلالها توليد مقولة بواسطة قواعد نحويّة للغة ما"[1] يترجم قدرة الإنسان على إصدار الكلام وانتقاله عبر الوسائط الفيزيائيّة ليتم استقباله في الجهاز السمعي.

وتأسيسًا لما تمّ ذكره سيتم الإشارة إلى كيفية أو المراحل التي نمر بها أثناء إنتاجنا للغّة:

1-1/ إنتاج الأصوات:

يعد إصدار الأصوات المقدّمة الطبيعيّة لإنتاج الكلام تتداخل فيها عدّة عناصر مهمة كالدلالة والنحو، يهتم بتسجيل الحركات العضويّة التي يقوم بها الجهاز الصوتي أثناء النطق ومتابعة الآثار السمعية المصاحبة لهذه الحركات ، وقد كرّس علماء نفس اللّغة جهودها في التمييز بين ثلاث جوانب مهمّة لأصوات اللّغة وهي[2]:

أ/ **جانب إصدار الأصوات:** يطلق عليه اسم الجانب الفيسيولوجي أو العضوي إذ تقوم من خلاله أعضاء النطق بحركات لإنتاج الأصوات، فهو يهتم بطريقة إصدارها و يتحرى عن مكان نطقها.

ب/ **الجانب الفيزيائي:** أي انتقال هذه الأصوات في الهواء ويتمثّل في الموجات الصوتيّة التي تنتشر في الهواء نتيجة ما تقوم به أعضاء النطق من حركات، كون هذه العمليّة تؤدي إلى اضطراب في الهواء بين المتكلّم والمستمع (الموجة الصوتيّة)، كما يبحث عن الخصائص الماديّة أثناء انتقال الرسالة اللّغوية بين المرسل والمرسل إليه ويترقب ترداد الأصوات ونوعية الموجة الصوتيّة وطبيعتها وعلوّها.

ج/ **جانب استقبال الأصوات (الجانب السّمعي):** يمتد هذا الجانب من اللحظة التي تستقبل فيها طبلة الأذن تلك الأصوات والذبذبات المنتقلة من فاه المتكلّم إلى أذن المستمع الحاصلة في الأجزاء المختلفة إلى أن تنتقل عن طريق الأعصاب إلى المخ فتستقبل المنبهات السّمعية البصريّة، وتنقل إلى الدّماغ استنادًا على مسالك سمعية بصريّة بغية تفسير الرسالة المرسَلة وتنظيم الإجابة للّغوية الموائمة لذلك، إذ تعد الأعضاء الاستقباليّة المدخل المباشر المحتوي على حاسة السّمع والكلمات المكتوبة والسمات الفيزيائيّة للصوت كما يركز على العملية السمعيّة وكيفية إدراك الأصوات انطلاقًا من الجهاز السمعي البشري والعمليات العضوية التي يخضع لها السّامع والمتمثلة في ميكانيكيّة عملية السّمع في الأذن واستجابة الأعصاب السّمعيّة.

لقد أولى علماء النفس المهتمين بعلم اللّغة عنايةً خاصّةً بالإشارات الصوتيّة المرافقة للعملية الكلامية، نظرًا للدور الأساسي الذي تؤديه في تكملة مضمون الجمل الناقصة أو الغامضة أو تجسيد معاني محدّدة، كما تسعى إلى تقديم وصلات منطوقة للأبنية اللسانيّة والتي تظهر من خلال طريقة التعبير اللّغوي الذي يشمل الإيقاع والنبر والتنغيم، كما ركزوا على الاختلالات المصاحبة للكلام (الأمراض اللّغوية) وحاولوا البحث عن أسبابها وعواملها ومصدرها الرئيسي والإسهام في تشخيصها وعلاجها وتقويمها.

2- مراحل إنتاج الكلام:

من أبرز اهتمامات اللغويات النفسيّة تقسيم الظواهر اللّغويّة إلى خطوات مرحلية منتظمة، ومن أهم النماذج النظرية في علم اللّغة النفسي لإنتاج الكلام هو النموذج الذي طرحه "**لافليت**" **levlet** والذي يرى أنّ إنتاج الكلام يمر بمراحل طويلة متعاقبة الواحدة تلو الأخرى على النحو التالي"[3]:

2-1/ مرحلة تأطير الفكرة اللّغويّة للكلام: Conceptualization

يحدث الكلام في إطار زمني متعاقب بمشاركة العمليات العقلية المسؤولة عن ذلك وقد ظهرت أبحاث مفسّرة لهذا النشاط الجامع بين عمل اللّغة والدماغ (اللسانيات العصبيّة) والتحري عن التفسيرات المبينة لسبل التأطير اللّساني للكلام في البداية داخل الذهن الإنساني، إذ تأتي هذه المرحلة الأوّلية كتحضير تصوري تتشكّل من خلاله نيّة لخلق الخطاب المطلوب قبل الشروع في التعبير عنه بكلمات منطوقة خاصّة حيث يتم صياغة الرسائل المقصودة مسبقًا والتي تحدّد المفاهيم التي يتم التعبير عنها"[4]، وعلى إثرها يتم تكوين مفاهيم نحوية تنشأ عبرها سلسلة من الكلمات التي تحضر في الذهن عند الانطلاقة الأوّلية للكلام، ومفاهيم تصوريّة تنماز بطابع شمولي تصوري تتحكم في التواصل اللّغوي بخلق مقاطع من الأصوات والكلمات والجمل إضافة إلى الاهتمام بلغة الجسد المتمثلة في الإيحاءات والإيماءات والحركات المستعملة لتوضيح فكرة أو تأييد رأي وتأكيد ذلك كلّه بالإشارة الجسديّة.

وبناءً لما تمّ ذكره يعسر علينا تصوير هذه المرحلة أو إدراك مفاهيمها كونها معزولة عن المفردات والعبارات التي نتلفظ بها أو نكتبها بشكل فعلي، بيد أنّها تعيننا على معرفة مضمون العبارة التي ننوي تنفيذها إذ تنتج عن طريق سلسلة من الأفكار المتمثلَة في العقل بصورة تجريدية ذات طابع معرفي لا لفظية فدائما نحاول استحضار الكلمة (التجسيد اللفظي) التي توائم الفكرة المقصودة المحفوظة في الذاكرة الدلالية بكيفية مجرّدة.

2-2/ مرحلة صياغة الكلام: Formulation

تعد هذه المرحلة أسهل بكثير مقارنة بالسابقة كون الأفكار تأخذ نسقًا ذهنيًا قبل صياغتها في قالب لغوي من (منظور سيكوألسني)، يتم من خلالها إنشاء البنية الشكلية المرجوة للإفصاح والتبليغ عن الرسالة المطلوبة عن طريق الترميز النحوي والصوتي (بناء تركيب لغوي للمعنى المقصود) ومن خلالها يتم "ترجمة مقاصد المتكلّم اللّغويّة إلى سلسلة من الأصوات اللّغويّة المهيأة أو الجاهزة للتنفيذ شرط التمييز بين الأفعال العقلية المتفاعلة"[5] تستند على أنماط التخطيط اللّغوي وهي نوعين:

أ/ أنماط متسلسلة للتخطيط اللّغوي:

تتم عملية تخطيط الكلام وفق خطّة منظّمة تبدأ بتخطيط لموضوع الحديث ونوعه وتحديد المنطوقات الموائمة لطبيعته لنقل الرسالة بالشكل المطلوب، ومن ثمّة التخطيط في انتقاء الجمل التي تؤدي الغاية المرجوّة، وتعيين خصائصها ليتم بعدها التقاط الكلمات السليمة وترتيبها حيث تحدث عملية الترميز في العقل إذ يقوم ببناء جمل وتركيبها بصورة لغوية بسيطة وصحيحة، إذ لابدّ للمتحدّث أنْ يعيَ بأنّ كل منطوق وجب أن يشارك في الحديث بتمرير الرسالة السليمة التي يرغب في نقلها والتخطيط لمنطوقاته مع ما يوائم موضوعه، ويكون ذلك كله وفق مراحل متتابعة مكملة لبعضها البعض "وقد أدرجها علماء اللّغة والنفس في ست خطى منظّمة وهي كالآتي:"[6]

المرحلة الأولى: التعرّف على المعنى، فيولّد المعنى الذي يُنقَل.

المرحلة الثانيّة: اختيار البنية التركيبيّة.

المرحلة الثالثة: توليد نمط مرصّع بالنبرة الأساسيّة أو الثانويّة.

المرحلة الرّابعة: إدخال كلمات المحتوى سواءً كانت أسماء أو أفعال أو صفات تسترجع من المعجم.

المرحلة الخامسة: تكوين لواحق وبوادئ وكلمات الوظيفة (أدوات التعريف، حروف العطف، حروف الجر .....).

المرحلة السادسة: تخصيص الأجزاء (الصوامت / الصوائت) الفونيتيكيّة ويعبّر في ضوئها على الجملة وفقًا لقواعد فونولوجيّة.

وعليه فإنّ تخطيط الكلام وفق هذا النمط ينطلق بفهم المعنى المراد التعبير عنه ثمّ تركيب بنية الجمل مع زيادة اللواحق والبوادئ وغيرها ،ليسهل التعرف على الخصائص الصوتية الصحيحة للمتكلّم.

ب/ أنماط متوازيّة للتخطيط اللّغوي:

يهدف هذا النوع من الأنماط الوصول إلى مستويات المعالجة اللّغوية أثناء إنتاج اللّغة في الوقت ذاته "مع توفر أربع مستويات من العقد في الذاكرة الدلاليّة: دلالي، تركيبي مورفولوجي، صوتي مع تمثيلات منفصلة للرسالة المقصودة تعمل بالتوازي، وحين تنشط العقدة عند مستوى واحد فإنّها تنشط العقد الأخرى في المستويات الأخرى"[7]، فالتخطيط اللّغوي مبحث متعدّد استلهم عناية علماء نفس اللّغة من خلال البحث عن المشكلات اللّغوية وعلاجها بدراسة الاحتياجات والأهداف والوسائل شرط حضور التغذية الرجعية باعتبارها الخط الواصل بين مراحل المعالجة اللاحقة والخطوات التي سبقتها.

2-3/ مرحلة نطق الكلام: Articulation

بعد أن يتم التخطيط للكلام يوجّه العقل تعليمات إلى الأعضاء المسؤولة عن النطق (اللسان ، الرئتين، الصندوق الصوتي) لإنتاج الكلام، فعند انتقاء المفردة المراد قولها يحدث تمثيل قواعدي لها والمتمثل في معرفة محلها في السياق الذي وردت فيه والدور الذي تؤديه داخل الجملة (فعل، فاعل، مفعول به .....)، وبعد ذلك تتم البرمجة الصوتية لتلك الكلمة (النطق الفعلي) والتي تضم المقاطع الصوتية من نبر وتنغيم وغيرها. والجدير بالإشارة أنّ هذه

المرحلة قد جذبت علماء اللّغة والنفس لأنّ أدوات النطق هي الموصل الأساسي والمنسق الرئيسي لأصوات الكلام وبدونها تظل هذه الأخيرة عقيمة وغير مسموعة ولضمان حصول النطق السلس للكلام وجب الاستعانة بعدد كبير من العضلات بطريقة منسجمة متسقة انطلاقًا من الجهاز التنفسي إلى الجهاز الحنجري فالصوتي، وعليه فإنّ مرحلة نطق الكلام هي: "استجابة ظاهرة للاستثارة كونها تشكل المظهر الخارجي للكلام، فالمستمع لا يرى من هذا الأخير سوى البنية الخارجية لذا يتوجب أن يكون النطق سليمًا واضحًا خاليًا من الأخطاء، وهو ما ينبغي أن يكون في دائرة اهتمام المتكلّم"[8]، وذلك بتتبع الميكانيزمات المحتوية على التتابع المنطقي والتوقيت والتي تؤشر لأعضاء النطق أن تؤدي مهامها المتمثلة في ترجمة الرموز اللّغوية إلى أصوات مسموعة ومعرفة الكلام الذي كان ينوي المتحدّث إصداره، ولتوضيح ذلك في إطار مبسّط يمكن اختصاره فيما يلي:

تركيب الكلام ⟵ اختيار الكلمة ⟵ التمثيل القواعدي

التمثيل الصوتي ⟵ نظام النطق.

وتأسيسًا لهذا الطرح نستشف أنّ العمليات التي تحدث في عقل المتكلّم أثناء إنتاج الكلام (النطق) تبدأ بانتقاء المفردة المراد التلفظ بها ،ثمّ اختيار موقعها في الكلام (البداية أو الوسط أو النهاية) ليتم بعدها النطق الفعلي لها أو ما يسمى بالتمثيل الصوتي شرط وضع الأهداف المثلى للصوامت والصوائت والتحكم في أعضاء النطق، وفتح المجال لأنماط النطق المخزونة في الذاكرة للوصول إلى مخزن المخرج وهي كلّها عمليات نطقية تتم في إطار مستويات تعالج من خلالها إشارة اللّغة، وتمر عملية النطق بأربع مراحل وهي[9]:

– **المرحلة الأولى**: تتعلّق بالعصب الحركي العلوي الموجود بالمخ Upper Motor Nouron وهو المسؤول عن عمل الأجهزة الهرميّة الموجودة بالمخ Pyramidal Tracts.

– **المرحلة الثانيّة**: ترتبط بالعصب الحركي السفلي Lower Motor Neuron حيث تنتقل الإشارة من النواة الموجودة بالمخ إلى العصب الخامس المسؤول عن حركة الفك، والعصب السّابع المسؤول عن حركة الوجه، والعصب العاشر المسؤول عن حركة الحجاب الحاجز والعصب الثاني عشر المسؤول عن حركة اللّسان ثمّ تنتقل من الأعصاب إلى العضلات.

– **المرحلة الثالثة:** تلتقي هذه العضلات داخل المخيخ Cerrebellum كونه المسؤول عن تعاون العضلات الخاصّة بالكلام.

– **المرحلة الرّابعة:** بواسطة الجهاز وراء الهرمي Extra Pyramidal System تتم عملية الكلام بشكلها المعبّر Making The Speeh Expressive"[10].

إنّ عمليّة النطق هي عملية عضوية محضة تتفاعل مع عدّة جوانب سيكولوجية وبيداغوجيّة واجتماعيّة وصحيّة، وقد أوردت الدراسات المتعلّقة بفيسيولوجيّة النطق والكلام واللّغويات النفسيّة أنّ الكلام يتأثّر بالعديد من الوظائف العضوية منها ما يرتبط باستقبال الصوت ومنها ما يقوم بالتنفيذ ومنها ما يقوم بالتنظيم الوظيفي المركزي.

3– نظريات إنتاج اللّغة ومستوياتها وفق دراسات علم اللّغة النّفسي:

لقد حاولت عدّة أبحاث سيكو لغوية تفسير كيفيّة إنتاج الكلام وذلك باستثمار الأخطاء اللغويّة كوسيلة فعّالة في إدراك عدّة معارف حول هذا المجال الشيّق ومن أبرز تلك النظريات نذكر:

3–1/ نظرية التنشيط المتّسع:

هي نظرية نفسية تقوم بمعالجة اللّغة وفق مستويات متكاملة بغية الوصول إلى كلام منطوق، "قد صاغها **ديل وزملاؤه** استنادًا على المبادئ الارتباطيّة ،إذ ترى وجود قواعد حدّية Categorial Rules في كل مستوى من المستويات حيث تحدد في كل مستوى الأصناف المناسبة لذلك المستوى ،إضافةً إلى تلك القواعد هناك خيرة لفظيّة على شكل شبكة ارتباطيّة lexicon وتحتوي على مفاصل Nodes للمفاهيم والكلمات والصرفيمات والصوتيمات، وعندما يُنشَّط مفصل ما فإنّه يُرسل التنشيط إلى جميع المفاصل المرتبطة به"[11] فمثلاً عندما نريد تصنيف جملة فعلية على مستوى القواعد التي تقتضي تعيين فعل في إطار محدّد من التصميم النحوي، فالعامل الذي وقع عليه الاختيار هو الذي ينشط بوتيرة أسرع وبنسبة أكبر والعنصر الذي يُنتقى في دائرة التنشيط يُنزل العنصر السابق ويقوم بحجبه كي لا يتم اختياره مرّة أخرى، وتمر عملية معالجة الكلام في ضوء هذه النظرية بمستويات تستهل بالمستوى الدلالي الذي يتم من خلاله إدراك المضمون العام لكلام الذي يود الناطق

الإفصاح عنه، ثمّ المستوى القواعدي الذي تقع فيه الصياغة اللسانيّة للكلام المقرَّر قوله تتحكم فيه جملة من القواعد المضبوطة، ليتم بعدها غربلة الكلمات التي تتكوّن منها الجملة الشفويّة المراد التكلّم بها وفق ضوابط المستوى الصرفيمي، وصولًا إلى تحديد الوحدات الصوتية في الكلام المنطوق وهو ما يندرج ضمن إطار المستوى الفونولوجي الصوتيمي.

3-2/ نظرية ليفليت، ويفر:

هي نظرية معقدة صُمّمت خِصّيصًا لتبيّن كيفية إنتاج اللّغة انطلاقًا من مضامين المفردات وانتقالا إلى الصوتيمات وصولًا إلى التمثيل الصوتي تدعو إلى تقريب دلالة الكلمات وصوتها، حيث يتضمن إنتاج الكلام وفق هذه ستّة مراحل في المعالجة تجري بتسلسل صارم وهي[12]:

1- **الإعداد المفاهيمي**: تنشط المفاهيم المحتملة استنادًا للمعنى .

2- **اختيار الكلمات**: يقوم الفرد باختيار كلمة مجرّدة مع سماتها القواعديّة ويتم اختيار الكلمة المجرّدة لأنّها أكثر نشاطًا من أيّة كلمة أخرى.

3- **الترميز الاشتقاقي (الصرفيمي)**: يتم اختيار الشكل الأساس للكلمة ويجري تنشيطها.

4- **الترميز الصوتيمي**: حيث يجري استخراج مقاطع الكلمة Syllabification

5- **الترميز الصوتي**: حيث تعد أصوات الكلام.

6- **النطق**: نطق الكلمة من خلال تحريك عضلات النطق.

قبل الشروع في التعبير المنطوق بكلمات خاصّة تتشكل نيّة لتصميم الخطاب المرجو (التخطيط للكلام)، ليتم انتقاء مفردة ماديّة تضبطها قواعد محّددة مع معالجة بنية الكلمة ونسقها وتعيين نوعها واشتقاقها مع التركيز على المورفيم كونه المادّة الأساسيّة التي تتشكّل من خلالها الكلمة لتمر بالتشفير الصوتي الذي يتحكّم في نطق المقاطع الصوتيّة تبعًا للأنماط المقبولة المألوفة لدى الجماعة اللّغويّة مع التمييز بين الجانب الفونيتيكي الذي يعنى بتصوير وشرح وتحليل الأصوات اللّغوية المنعزلة، والجانب الفونولوجي الذي يهتم بإدراك فاعلية الصوت اللّغوي في إنتاج الكلام من الناحية النحويّة والصرفيّة وهما جانبين مهمين في علم الصوتيات مكملين لبعضها البعض لا يمكن الفصل بينهما كونها عملة لوجهة واحدة ووفق للمراحل المذكورة أعلاه يتم تنشيط السلسلة الكلاميّة بشكل متسلسل وصارم مع

تجنب الأخطاء الكلاميّة بتتبع مدى تنشيط المفصل المفعّل بالاعتماد على آلية خاصّة متصلة بالمفصل المنشط في المستوى الأعلى.

3-3/ المستويات الأساسيّة لإنتاج الكلام:

يتطلّب إنتاج اللّغة الاستناد على عدّة مستويات وهي:

أ/ **مستوى غير لغوي:** يتم من خلاله إعداد محتويات الرسالة وضبط صوامتها وصوائتها وترتيب طريقة عرضها بالرجوع إلى الغاية من العملية الاتصاليّة وتفعيل دور كل من المتكلّم والمستمع .

ب/ **المستوى اللّغوي:** يقوم بتنظيم الكلام المنطوق اعتمادًا على مستويات متباينة وتصميم خطّة محكمة يقرّر المتحدّث من البداية مضمون الكلام الذي يود قوله مع مراعاة التطوير المستمر لهذه الخطّة لتحقيق إنتاج لغوي هادف.

ج/ **المستوى الوظيفي:** يتضمن انتقاء مفردات المحتوى في قالب مجرّد يشمل الخصائص الدلالية والتركيبيّة للكلمة، وتحديد وظيفتها النحويّة مع تمثيل الخصائص المعجميّة في طابع دلالي فقط.

4- أثر الأمراض الكلاميّة في إنتاج اللّغة الحبسة –أنموذجًا–:

إنّ وجود اضطرابات كلامية ينعكس سلبًا على عملية إنتاج اللّغة وعسر التصويت ويظهر ذلك بأشكال متباينة كالتعبير بواسطة الإشارات والإيماءات أو استخدام عبارات مدغمة متداخلة غير تامة يصعب فهمها، أو إصدار أصوات معدومة الدلالة للتعبير عن الحاجة، إذ تعكس عجز الطفل على تنظيم المقاطع اللغوية وعدم تمكنه من النطق السليم وهذا مرده عدّة عوامل أبرزها خلل عصبي أو ما يطلق عليه بالحبسة (الأفيزيا) والتي تعرف بأنّها نوع من "الاضطرابات اللّغويّة الذي يحدث نتيجة إصابة المراكز المسؤولة عن إنتاج اللّغة في النصف الأيسر من الدماغ نتيجة الجلطات أو الضربات المباشرة على الرأس تؤدي إلى فقدان جزئي أو كلي لإنتاج الكلام"[13]، حيث تسلب القدرة على التواصل الفعّال (الجانب الحركي) وفهم اللّغة المنطوقة والمكتوبة (الجانب الحسي) ويتعذر على المصاب تمييز الأصوات بسبب إصابة الجهاز العصبي المركزي، ممّا يؤدي إلى تشوه في وظيفة الكلام

وقصور في إخراجه، وقد كشفت العديد من الدراسات عن علاقة المناطق المسؤولة عن الكلام بالسلوك اللّغوي انطلاقًا من القدرة على الكلام وصولًا إلى فهم اللّغة، وقد يعاني المصاب بالحبسة من عدّة مشاكل تعطّل وظائف الكلام إذ يشعر بالقصور في إخراج الكلمات أو فهمها بشكليها المنطوق والمكتوب وذلك نتيجة التلف الحاصر في الأطراف القشرية وتحت القشرية الرابطة بينها وبين منطقة الكلام في المخ وهو ما يعسّر على المصاب استعمال الكلمات والجمل، وفي إنتاج اللّغة الشفهية أو الكتابيّة وهو ما يؤثر بصورة سلبية على فهم اللّغة ويُولّد بدوره العسر القرائي والكتابي، "ففي عام 1861 قدّم الطبيب الفرنسي **بروكا** تقريرًا عن مريض فقد قدرته على النطق تمامًا وعند دراسة الدماغ بعد وفاته ظهر أنّ العطب في الفص الأمامي من النصف الأيسر من الدّماغ فوق أخدود سيلفيوس وبامتداده ولقد أطلق على هذه المنطقة اسمه فهي منطقة **بروكا** S .AREA .BROCA وتقع هذه المنطقة فوق الأذن اليسرى"[14]، وسميت بذلك نسبةً إلى الباحث بروكا واضع النموذج الكلاسيكي لأساسيات الوظائف اللّسانيّة في علم الأعصاب ولا تزال دراسته تؤثر في اللغويات العصبيّة باعتبار أنّ منطقة بروكا هي المسؤولة عن إنتاج اللّغة وفهمها، من خلال حفظ لائحة من الكلمات وجزئياتها مع معانيها فتسيطر على اللّغة المكتوبة والمحكيّة وعلى لغة الإشارة، إذ أنّ الفرد في حالة إصابته في هذه المنطقة يستطيع تذكر الكلمات لكنّه لا يستطيع صياغتها صياغة لغوية قواعدية صحيحة، ويشعر بقصور في إصدار جمل تامة وقد أولى علماء اللغة والنفس اهتمامًا خاصًا بهذا المجال، وجعلوا له حيزًا كبيرًا من الدراسات وبحثوا عن الأسباب المفسرة لذلك بغية إيجاد العلاج المناسب لذلك لاستعادة الإمكانات اللّغوية والبحث عن طرق بديلة للتواصل الفعّال، تبدأ بمعالجة السبب ثم المعالجة المقوّمة للنطق واستخدام أجهزة تساعد على ذلك، والجدير بالذكر هو أنّه ليس من السّهل تشخيص الحبسة الكلاميّة كونها تتطلب دراسة معمقة تهدف إلى تقييم المظاهر الحركية للكلام وصياغته، كما دعا المختصون في مجال اللغويات النفسية على ضرورة الكشف المبكر لمشكلات اللّغة والنطق كونه يتيح الفرصة لعلاجها بسرعة، عدا عن ذلك الإرشاد الأسري الساعي إلى إشراك الأسرة في عملية التأهيل اللّغوي إضافةً إلى ذلك تقديم جلسات علاجيّة، كما أنّ المشاكل القائمة في اللحاء السّمعي تنعكس سلبًا على إنتاج اللّغة من خلال الاستجابة السّمعيّة التي تتّخذ لإنتاج الكلام الصّوتي، وهذا ما نلحظه عند المتلعثمين عند إدارة كلمة صحيحة من

الكلمات المكتوبة مع المبادرة في قراءتها بصوت مرتفع، وهذا يدل على الأثر البالغ للنسيج السمعي في إنتاج الكلام لدى المستخدمين بالتلعثم كونهم يستعملون نصفي الدّماغ خلال هذه العملية عكس العاديين.

إنّ مقومات علم اللّغة النفسي دراسة تركيب الدماغ لكل إنسان أثناء انشغاله في المهام اللّفظيّة كون إصابته تؤثر مباشرة على المقدرة اللّغويّة، وتقييم إنتاج اللّغة لدى الفرد يتعلّق بتحديد نوع الاضطراب ودرجته ويتم ذلك بمرافقة أخصائيين في مجال اللّغة والتخاطب وأطباء نفسانيين والاستعانة بأجهزة ومعينات سمعية بصرية تساعد في تحليل كلام الطفل.

خاتمة:

تدلّ عمليّة إنتاج اللّغة على أنّ الطفل بدأ يتبوأ مكانته السوسيولوجيّة وأنَّ بنيته العقلية تتطوّر وتأخذ مسارًا آخر ينطلق من الذات،وينتقل إلى الموضوعيّة ومن الاستيعاب السطحي للمنطوق إلى فهم العلاقات القائمة بين الأشياء، بيد أنّ هذه العملية جد معقّدة يعسر وصفها بشكل دقيق وتبقى العمليات الذهنية الحاصلة في الدماغ مسألة غامضة لا يمكن الإفصاح عنها بهذا التصور السلس، على الرّغم من تكاثف جهود علماء اللغة النفس في ترقية النظريات المفسرة لمدى تعقيد نطق الكلام، وبقي الفهم ضئيلًا في تشخيص الطريقة الصحيحة التي يبرمج بها الدماغ البشري أدوات النطق كي تصدر الأصوات بطلاقة ويمكن تفسير التحويل الطارئ من الشفرة الذهنية إلى الحركات العضلية المتعلّقة باللّغة في أنّ الوحدات الفونيميّة تتوافق والعضلات الحركيّة أو ترتبط بنسق المقطع الصوتي.

والجدير بالذكر في هذا المقام أبرز التوصيات التي أفرزتها هذه الدراسة:

- ضرورة تكثيف الأبحاث والدراسات التي تنضوي في إطار إنتاج اللّغة .
- الاهتمام بالمتغيرات الاجتماعيّة والنفسية عند إنتاج الكلام.
- التركيز على مناحي دراسة إنتاج اللّغة خاصّةً فيما يخص الأخطاء الكلاميّة والأمراض اللّغوية والنطقيّة
- إنجاز اختبارات القدرات العقليّة واللّغويّة ومرافقة لغة الطفل قبل وبعد التمدرس.

الهوامش والإحالات

(1)– مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنيّة، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995، ص238.

(2)– سيد يوسف جمعة، سيكولوجيّة اللّغة والمرض العقلي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1978، ص74–75.

(3)– سكوفل توماس، علم اللّغة النفسي، تر:عبد الرحمان بن عبد العزيز العبدان، مركز السعودي للكتاب الرياض، 1998، ص58.

(4)– المرجع نفسه، ص59.

(5)– بكداش كمال، علم النفس ومسائل اللّغة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2002، ص73.

(6)– نازك إبراهيم عبد الفتاح، مشكلات اللّغة والتخاطب في ضوء علم اللّغة النفسي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2002، ص159.

(7)– المرجع نفسه، ص 161.

(8)– حلاسة فايزة، أثر برنامج تدريبي قائم على السلوك التوكيدي في رفع كل من مصدر الضبط ومهارات الاتصال لدى عيّنة من المراهقين المتمدرسين، دار خالد اللّحياني، المملكة العربيّة السعوديّة، مكّة، 2016، ص190.

(9)– محمد مصطفى أحمد يونس لغة الطفل دراسة تطبيقيّة على أطفال الرياض في ضوء الدراسات اللّغوية الحديثة، جامعة الفيوم، مصر، 2010، ص154–155.

(10)– السيد شخص عبد العزيز، اضطرابات النطق والكلام، دار الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربيّة السعودية، ط1، 1997، ص 49–56.

(11)– الحمداني موفق، علم نفس اللّغة من منظور معرفي، دار المسيرة، عمّان، ط1، 2004، ص163.

(12)– المرجع نفسه، ص 167.

(13)– محاسيس صهيب سليمان، عيوب الكلام في التراث اللّغوي العربي، دار حامد للنشر والتوزيع، عمّان الأردن، 2012، ص58.

(14)– الجبوري علي محمود كاظم، علم النفس الفسيولوجي، دار الصّفاء، عمّان، ص424.